فن العتاب في الشعر الأموي
(جرير- الفرزدق - الراعي النميري) أنموذجا

المدرس الدكتور
وئام كاظم سميسم
جامعة الكوفة - كلية الآداب

فن العتاب في الشعر الأموي
(جرير- الفرزدق - الراعي النميري) أنموذجا

المدرس الدكتور
وئام كاظم سميسم
جامعة الكوفة - كلية الآداب

العتاب فن و لون من الشعر ،لا يقل أهمية عن الأغراض الرئيسة في الشعر العربي كالمديح ،والهجاء،والغزل ،بل هو من الأغراض والفنون التي لابد من الوقوف عندها والنظر إليها لما يحمل في طياته من قيم وأفكار تؤرخ لأحداث ومواقف تباينت الرؤى فيها وتقاطعت ردود الفعل.

لم يكن فن العتاب بارزا قياسا بالأغراض الوجدانية المشهورة في الشعر العربي. وهو من الندرة والقلة لا نجده عند شعرائنا (جرير ، والفرزدق ،والراعي النميري)،ما جعل تتبع هذا الفن ودراسته أمرا عسيرا ،وهو لم يصل من الكثرة إلى المقدار الذي يلفت نظر الباحث ،قياسا بالأغراض الأخرى.ويبدو السبب في ذلك، هو طبيعة الشخصية العربية،وليس معنى هذا إننا نخلي نتاجهم الشعري من العتاب ،فهناك مواقف وحوادث تستدعي أن يعتب الشاعر على آخر ليزول ما بينهم.

المبحث الأول

المطلب الأول :**مفهوم فن العتاب لغة واصطلاحا:**

ينحصر المعنى المعجمي للعتاب عند اللغويين بالنقص والفساد والجفاء الموجدة فجاءت هذه اللفظة بصيغ متباينة وبدلالات متوافقة .

قال أبن منظور:بالتحريك :النقص،ومن معانيه ما دخل في الأمر من الفساد ، ويقال ما في مودته عتب إذا كانت خالصة لا يشوبها فساد ، والعتب: الموجدة وعاتبه معاتبة ،وعتابا كل ذلك لامه أي وجد عليه.

ويقال:ما في مودته عتب إذا كانت خالصة لا يشوبها فساد.والتعتب :التجني،تعتب عليه ،تجنى عليه ،وتعتب عليه أي وجد عليه،والعتب الموجدة.

قال الأزهري:لم أسمع العتب والعتبان والعتاب بمعنى الأعتاب ،إنما العتب والعتبان لومك الرجل على إساءة كانت له إليك ،فاستعتبته فيها .والاستعتاب :طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته.

وذهب ابن فارس في مقاييسه إن((العين والتاء والباء أصل صحيح،يرجع كله إلى الأمر فيه بعض الصعوبة من كلام أو غيره.من ذلك العتبة ،وهي اسكفة الباب ،وإنما سميت بذلك لارتفاعها عن المكان المطمئن السهل ....

وتجمع أيضا على عتب وكل شيء جسا وجفا فهو يشتق له في هذا اللفظ . يقال فيه عتب ،إذا اعتراه ما يغيره عن الخلوص)).(١)

أما مورد اللفظة في الاصطلاح،فهو لا يتعدى هذا المعنى في مجال الأدب والبلاغة. ففن العتاب في الأدب على نوعين: نوع ما يخص عتاب النفس،والثاني ما يكون بين الأشخاص،والذي يخص النفس جعلوه من باب لوم الإنسان نفسه ،وهو بهذا يتجاوز معناها اللغوي ،أما الآخر فهو ملازم لحقله المعجمي كما مر من قبل.

لم يهتم النقاد والأدباء بمفهوم العتاب كفن له أصوله وجذوره ،ويبدو أن مرد ذلك إلى قلة هذا الغرض الشعري وندرته مقارنة ببقية الأغراض والفنون الشعرية .

والمتتبع لأغراض الشعر العربي القديم في تراث الأمة ،يجد أنهم قسموا فنون الشعر وجوانب أغراضه من حيث المضمون ،كما واضح ذلك عند العسكري ،فقد حدد فنون الشعر إلى خمسة :المديح ،والهجاء،والوصف ،والتشبيه ،والمراثي.حتى زاد النابغة فيها قسما سادسا وهو الاعتذار فأحسن فيه ،وهو تقسيم جيد غير انه نسى باب الحماسة وهو أكثر موضوعات وأغراض الشعر دورانا على ألسنتهم.(٢)

ونجد أبا تمام قد تجاوز في ذلك وجعلها عشرة أبواب ليس للعتاب فيها مكان،وقد جعلوها ثمانية عشر بابا بحسب قول عبد العزيز ابن أبي إصبع،(٣)لا نجد للعتاب مكانا فيه أيضا.

أما في النقد ،فقد وزع قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر ،فنون الشعر على ستة موضوعات ليس للعتاب فيها محل ،أما في كتابه نقد النثر ،فنجد عنده إن الهجاء يدخل في الذم والعتاب والتأنيب.(٤)

إلا إننا نرى تبلور المفهوم واضحا عند ابن رشيق عندما قال في العتاب :"وان كان حياة المودة ،وشاهد الوفاء فانه باب من أبواب الخديعة يسرع إلى الهجاء ،وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء فإذا قل كان داعية الألفة وقيد الصحبة ،وإذا كثر خشن جانبه ،وثقل صاحبه .وللعتاب طرائق كثيرة ،وللناس فيه ضروب مختلفة ،فمنه ما يجمع الاستعطاف ،ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف وقد يعرض فيه المن والإجحاف ،مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف".(٥)

فضلا عن ذلك فقد جعل فنون الشعر تسعة،من ضمنها العتاب ،ونسي موضوع الوصف.

وقد اكتفت بعض المؤلفات الأدبية بذكر الأمثلة عن العتاب ،فمثلا الثعالبي أدرج العتاب في باب اسماه"باب العتاب والذم وشكوى الحال".(٦)وقد تابع هذه الطريقة ابن عبد ربه تحت عنوان "فصول في العتاب". (٧)

إلا إننا لو دققنا النظر في الشعر العربي ،لوجدناه مستوعبا لهذه الأبواب كافة كليها وجزئيها.

وعند تتبع المفهوم عند البلاغيين يطالعنا ابن المعتز في كتابه البديع ،الذي جعل العتاب يختص بالعتاب النفسي وهذا بحسب ما ذكره من أشعار مناسبة لعتاب الشاعر نفسه.(٨)

ووافق الزمخشري ذلك حينما أورد بيتا للنابغة تحت عنوان "عتاب المرء نفسه"،(٩)وهذا ما نجده أيضا عند السيوطي تحت العنوان نفسه وهو يذكر شاهدين من القرآن الكريم.(١٠)

بدء فن العتاب يتأصل ويقترب من المفهوم الاصطلاحي على يد عدد من البلاغيين القدامى أمثال حازم القرطاجني الذي يرى إن العتاب لا يتوقف عند عتاب النفس فقط ، ولكن يتعداه إلى غيره.(١١)ويتلخص مفهوم العتاب عند ابن الأثير الحلبي حينما قال:"العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الوجد على العاتب، والمحافظة على الود ،كما يقول الشاعر علي ابن الجهم:

إذا ذهـــب العتـــاب فلـــيس ود ويبقى الود ما بقي العتاب"(١٢).

ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى أن هذا الغرض قد أصبح غرضا قائما بذاته فرض نفسه على الدواوين وجامعيها.

وهذا ما نراه واضحا عند أبي بكر الصولي حينما جمع دواوين الشعراء وشرحها وقسم كل ديوان على أبواب ،كان باب المعاتبات عنده مستقلا عن الأبواب الأخرى ولم يكن فرعا لباب معين(١٣).

أيضا وجد أبو هلال العسكري أن غرض العتاب لابد له من أن يضاف إلى أغراض الشعر العربي حين قسم ديوان المعاني على اثني عشر بابا ،وبذلك يكون أبو هلال العسكري أول من جعل غرض العتاب من الأغراض المستقلة في الشعر العربي(١٤).

أذن نلحظ تفاوت عقول العلماء في تقسيم فنون الشعر العربي وتأصيله، على أهمية تلك المواضيع التي أغفلوها ،ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى : ذائقتهم الفنية ،أو إلى الفضائل النفسية التي يتمتع بها كل فن ،أو اعتمادهم على وفرت هذه الأغراض في الشعر العربي حتى جعلوها أغراضا رئيسة تستقطب عطاء الشعر في تراث الأمة ، وأخيرا نمو الغرض وتأصيله

وتطوره . وهناك ملحظ جدير بالذكر ، هو تداخل الأغراض بعضها ببعض وان تفاوت ذلك التداخل والامتزاج ، ويبدو أن لجوء الشعراء إلى ذلك هو توظيف الفن في خدمة غرض آخر قصده الشاعر وهو يعبر عن الهواجس الكامنة في نفسه و مخيلته ،وهذا المفهوم يقترب من المعنى الفلسفي للعتاب في المعجم الفلسفي ل د.جميل صليبا" العتبة في علم النفس هي الحد الأدنى من مقدار التنبيه الذي يكون مصحوبا بالاستجابة ، لأن التنبيه لا يحدث إحساسا إلا إذا بلغ درجة معينة من الشدة"(١٥).

المطلب الثاني :السياق التاريخي لمفهوم العتاب:

قبل تتبع فن العتاب تاريخيا ،لابد لنا أن نقف عند أهم استعمالاته أو توظيفه. فالعتاب يمثل ظاهرة اجتماعية وهو جزء من ثقافة المجتمع ،ناهيك عن الباعث الوجداني أو الشعور النفسي الذي ينبثق منه العتاب . فهو حالة نفسية طبيعية تظهر نتيجة لفعل ما، تحرك هواجس النفس فتبوح بمكنونها ودواخلها من انفعالات.

أول ما يطالعنا الاستعمال القرآني في كتاب الله الكريم الذي أثرى التراث المعرفي للأمة بفن العتاب بشتى ألوانه ،جاعلا منه فنا له قيمته البلاغية وأداة لها قدرتها التعبيرية في استيعاب جملة من الأهداف والمقاصد التي أراد النص الكريم إجلائها.

عاتب النص الكريم الأشخاص بمفردهم وجمع الناس بعمومهم ،وهو بهذا لم يقصر العتاب على نوع واحد منه ،والملاحظ أن النص باين في درجة العتاب شدة ولطفا وتدرجا حسب مقام المعاتب وحاله .والمتتبع لآي القرآن يجد هناك جملة من الآيات الكريمة كان فيها العتاب بفنية عالية يحقق القصد المطلوب من كلام الله عز وجل .كما في قوله تعالى :"ويوم يعض الظالم على

يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا " (١٦) وقوله تعالى :"أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين"(١٧).

وإذا ولينا وجهنا شطر الأثر النبوي الشريف،نجد هذا الفن واضحا جليا في الأحاديث الشريفة وهو يرد على نوعه الاجتماعي كما جاء في الحديث الشريف "لا يتمنين أحدكم الموت ،أما محسنا فلعله يزداد وأما مسيئا فلعله يستعتب" (١٨)أي إن يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا.

وفي حديث آخر "لا يعاتبون في أنفسهم".ولم يقتصر العتاب على الأشخاص في الحديث الشريف حسب ،بل تعداه إلى الحيوان كما في قوله صلى الله عليه و آله وسلم"عاتبوا الخيل فإنها تعتب "(١٩).

فضلا عن ذلك اخذ العتاب حيزا لا يمكن إنكاره في تراث الأمة، كما في قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع):"لا تقطع أخاك على ارتياب ،ولا تهجره دون استعتاب".(٢٠) ،وقال : أبو الدرداء:معاتبة الأخ خير من فقده ومن لك بأخيك كله(٢١).

وللأمثال العربية ،حصة في العتاب، كما يقول المثل "ما مسيء من اعتب" والتراث زاخر بهذا الفن.

أما العتاب عند الشعراء وهو ميدان البحث لدينا.فكان لهم الحظ الأوفر في توظيف العتاب خدمة لأغراضهم وتجاربهم.

كان فن العتاب غرضا مبثوثا في طيات الأغراض الأخرى في عصر ما قبل الإسلام ،فلم يكن غرضا وجدانيا قائما بذاته كباقي الأغراض،وان كان قد اخذ صورا متعددة وطرق موضوعات مختلفة وخاصة في شعر الأيام.(٢٢)

لم يقتصر العتاب في عصر ما قبل الإسلام على شاعر معين ،كما هو مع الأغراض الشعرية الأخرى كالمديح ،والفخر ،والرثاء،والهجاء،إلا إن غرض العتاب في العصر الجاهلي لم يكن من الوفرة والكثرة كباقي الأغراض

الأخرى ولكنه أوسع من الاعتذار الذي وسم النابغة الذبياني به،والمهم في الأمر بواعث هذا الفن في هذا العصر والذي ظل ملازم لحياة القبيلة وما يدور في فلكها .فإذا ما أحس الشاعر بالعداء من أفراد قبيلته كان العتاب أفضل الأغراض تعبيرا في مثل هكذا حال ،كما هو واضح عند النابغة الذبياني حينما عاتب بني مرة وهم من قبيلة الشاعر ذبيان ،لأنهم ظهروا العداوة له فقال معاتبا: (الطويل)

ألا ابلغا ذبيان عني رسالة فقد أصبحت عن منهج الحق جائرة
أجدكم لن تزجروا عن ظلامه ولن ترعوا لذي الود آصرة
فلو شهدت سهم وأبناء مالك فتعذرني من مرة المتناصرة(٢٣)

والشاعر بهذا اللون الفني يحمّله كل النصح ويذّكر بالود وآصرة الترابط بينه وبين قومه.

وهذا المتلمس يعاتب خاله الحارث بن التوأم اليشكري:(الطويل)

أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما
ألا إنني منهم وعرضي عرضهم كذي الأنف يحمي انفه أن يصلما
وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوما
فلو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنت إلا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما(٢٤)

وهنا الشاعر لابد له من توظيف العتاب لتحقيق مبتغاه من القول ،إذ لا يمكن أن يتنكر لأخواله ويقرعهم بهجاء لاذع على ما صدر منهم.وغيره من المعاتبات الأخوانية أو الاجتماعية.

هذا الفن كان أكثر الفنون ملائمة لطبيعة التجربة ،إذا ما نظرنا إلى الباعث على القول ،فالشاعر حينما يعاتب القبيلة أو إخوانه يُسخر فن العتاب في

التعبير عن خلجاته ووجدانه فهو لا يستطيع أن يهجو ويعادي بصراحة كل من قبيلته أو أهل حزانته ومن جهة أخرى لا يستطيع أن يكبت شعور الغضب أو الحيف والظلم من هؤلاء فكان العتاب أفضل طرق التعبير وأبين الأساليب في البوح عما يضمره لهم من الأسى والجفاء.

وهنا الشاعر يوظف غرض العتاب لتجربته الشعرية ،ليحقق هدفه دون أن يقرع ويهجو المعاتب بل هو ينتصر لنفسه ويحافظ على اعتزازه بالمعاتب من جهة ثانية.

من خلال ما تقدم يتضح أن العتاب تميز بسمات أهمها،تقديم النصح والموعظة ،فضلا عن ذلك إن العتاب كان يقترب من اللوم والتقريع وهو يبتعد عن الاستعطاف وأساليب الاستلطاف ،ويبدو أن للبيئة أثرها في جعل الأساليب أكثر خشونة واشد وقعا ،فضلا عن طبيعة النفس العربية ذات الإباء والأنفة في إذلال الكرامة أو النفس.

وإذا توجهنا إلى العصر الإسلامي نجد أن العتاب كبقية الأغراض الشعرية تأثر بالإسلام وقيمه. فهو غرض تنازعه جانبان ،الأول اثر العصر الجاهلي وبواعثه ،والثاني المعاني الجديدة للدين الإسلامي ،فقد تسللت إلى الأشعار كثير من معاني الإسلام وقيمه ومبادئه،كالعفو والتسامح والصفح والسلم وغيرها وهذا ما نجده واضحا في أشعار كثير من شعراء هذا العصر،كما في قول كعب بن زهير وهو يعاتب أخاه بجي على إسلامه:(الطويل)

ألا ابلغا عني بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
شربت مع المأمون كأسا رويـة فأنهلك المأمون فيها وعلكا(٢٥)

المبحث الثاني

دراسة موضوعية في قصيدة العتاب:

إن أهم مرتكز يقوم عليه العتاب هو المودة والجفاء(٢٦)،فجاءت بواعث هذا الفن تتماشى مع ظروف الحياة وطبيعتها ولا تتعارض معها(٢٧)،وان

تجاوز هذا الفن حدود القبيلة ،في العصر الإسلامي مهد مساحة واسعة تتلاءم مع الظرف الجديد الذي رقق العواطف. إلا إن فن العتاب بدء يحقق وجوده قياسا بالأغراض الأخرى مع تطور العصور.

فهو فن وجداني الباعث ،لما له من رابط بوجدان الشاعر ،يلجأ إليه الشاعر حينما يكون لديه إحساس بالتحول عن المودة من المعاتب ،فتدفعه بواعث متباينة إلى غرض يتوسط بين أن يلوم المخاطب من غير أن يوجعه فينقلب العتاب إلى الهجاء،وبين أن يطلب الإبقاء على الود من غير أن يضع نفسه موضع المتوسل والمستعطف.إذن هو غرض دقيق يتطلب حيطة وحذر في التعبير عن مكنون الشعور وعمق الإحساس .

المطلب الأول:العتاب السياسي(موجه إلى الخليفة ورجال الدولة).

لما كان العصر الأموي يشهد بواكير انطلاقة العقل العربي ،مهد هذا العصر أرضية صلبة يستند إليها هذا الفن وكان من الطبيعي أن يتوسع شعر العتاب كبقية الأغراض التي جسدت مظاهر ذلك العصر وكان خير تجسيد لهذا الغرض هو العتاب السياسي .(٢٨)

فكانت للتحولات السياسية والاجتماعية وتعدد المذاهب السياسية أثرها الواضح في الشعر من حيث البواعث والموضوعات .فقد بقيت فنون الشعر وأغراضه كما هي ،مدحا ورثاء وهجاء وغزلا،إلا أنه من المؤكد طالها التجديد ،وشعر العتاب طرأ عليه هو الآخر التجديد أيضا والاتساع في موضوعاته وبواعثه ،ومن هذا التجديد ،هو عتاب الخلفاء ورجال الدولة ،وهذا النمط من العتاب لم يكن موجودا قبل .أهم ما يميز عتاب الخلفاء هو قلته إذا ما قيس ببقية الأغراض،فضلا عن أسلوبه في الرقة واللين والوضوح،وهذا أمر منطقي يتلاءم مع مقام المعاتب.

جاء شعر العتاب لدى (جرير،والفرزدق،والراعي)صدى لتلك الأوضاع وهذا ما جعله يحمل الطابع السياسي.

فنجد جرير يعاتب يزيد حينما أستأذن للدخول،فخرج الحاجب،يقول:ا"لخليفة لا يأذن لشاعر لا يعرفه ،ولا يسمع بشعره ،وما سمع لك بشيء،فيأذن لك على بصيرة".(٢٩)

فقال جرير ،قل لأمير المؤمنين ،أنا القائل:(الطويل)

وأنـــي لعـــف الفقـــر مشـــترك الغنـــى ســـــريع إذا لم أرض داري انتقاليـــــا

جـــريء الجنـــان لا أهـــال مـــن الـــردى إذا مـــا جعلـــت الســـيف مـــن عـــن شماليـــا

ولـــــيس لســـــيفي في العظـــــام بقيـــــة وللسـيف أشـوى وقعـة مـن لسـاني(٣٠)

وكان يزيد قد عاتب أباه بهذه الأبيات وأرسلها إلى معاوية وكان معاوية يظن أنها لابنه لأنها لم تكن معروفة لديه ،فلما سمع يزيد الأبيات من الحاجب أذن لجرير ،فأدخله.(٣١)

إن عتاب جرير في هذه الأبيات كان فخرا بنفسه وهو بهذا يريد أن ينتصر لنفسه ويظهر مكانته ليزيد ،وأنه رجل رفيع الشأن وليس من طلاب النوال.

ومن عتاب جرير، لرجال الدولة هو معاتبته لعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود،لما قصد جرير ذات يوم عمر بن عبد العزيز ،عند ولايته الخلافة،ولزم بابه حتى ملّ ،فرأى عون بن عبد الله، فقال جرير:(البسيط)

يـا أيهـا الرجـل المرخـى عمامتـه هـذا زمانـك أنـى قـد مضـى زمـني

أبلـغ خليفتنـا إن كنـت لاقيـه إنـي لـدى البـاب كالمصـفود في قـرن

لا تـنس حاجتنـا لاقيـت مغفـرة قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني(٣٢)

إن هذا النوع من العتاب يظهر بوضوح أن عهد عمر بن عبد العزيز يختلف عن باقي العهود التي عهدها جرير ،حيث كانت سياسة عمر مختلفة عن سياسة خلفاء بني أمية التي تقرب الشعراء وتجزل العطاء.

وقد خاطب جرير هشام بن عبد الملك،فقال:(البسيط)

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم أحص عدتهم ألا بعد اد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانيه لولا رجاؤك قد قتلت أولادي(٣٣)

وهذا العتاب توشح بالحرمان والشكوى ،وأمتزج بمسحة الاستعطاف،كنمط سلوكي يحاول به الشاعر استمالة المعاتب ،وربما نلحظ أنه ينحط إلى درك الاستجداء،زيادة في كشف السوء،مترجيا بذلك المعاتب.

ونراه يعتب على صاحب العطاء باليمامة تأخير عطائه عنه ،فيقول:(الطويل)

لقد كان ظني يا ابن سعد سعادة وما الظن إلا مخطئ ومصيب
تركت عيالي لا فواكه عندهم وعند ابن سعد سكر و زبيب
منعت عطائي يا ابن سعد وإنما سبقت إلى الموت وهو قريب
فان ترجعوا رزقي إلي فانه متاع ليال و الحياة كذوب (٣٤)

هذا عتاب يتصل بالحياة السياسية،فالشاعر هنا يسلك مسلك الاستعطاف والاحتجاج،يعبرعن عدم رضاه، وفي الوقت نفسه يعمل على تصعيد وبناء انفعال سلوكي آخر للتعبير عن عدم الرضا والحرمان وهو (الشكوى)،فالشكوى هو انفعال يتوسط (الاستعطاف والاحتجاج) فضلا عن شعوره بالإحباط الحقيقي وهذا ما يصرح به. فقد كان تأخر العطاء من البواعث الكبيرة لفن العتاب في العصر الأموي إذ إن سياسة الدولة الأموية غير عادلة في العطاء .

وإذا رجعنا إلى الراعي النميري نجده يعرض الشكوى والتهديد من خلال أطار العتاب،وعندما ندقق النظر في قصائد المديح التي وجهها الراعي إلى رجال الدولة نجد إن وحدة العتاب فيها تتلون بلون الشكوى والاستعطاف تارة وتارة أخرى بالتهديد.يقول: (الكامل)

أبلـــغ أمـــير المـــؤمنين رســـالة شـــكوى إليـــك مظلـــة و عـــويلا
مـــن نـــازح كثـــرت إليـــك همومـــه لـــو يســـتطيع إلى اللقـــاء ســـبيلا
أولـــي أمـــر الله إنـــا معشـــر حنفـــاء نســـجد بكـــرة و أصـــيلا
عـــرب نـــرى لله في أموالنـــا حـــق الزكـــاة منـــزلا تنـــزيلا
قـــوم علـــى الإســـلام لمـــا يمنعـــوا مـــاعونهم ويضـــيعوا التهلـــيلا
فـــادفع مظـــالم عيلـــت أبناءنـــا عنـــا وأنقـــذ شـــلونا المـــأكولا(٣٥)

حملت هذه الأبيات معاني دينية (نسجد بكرة وأصيلا،حق الزكاة ،قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم، التهليلا) وهذه المعاني التي جاء بها الشاعر تحمل ضربا من التقريع للخليفة،فقومه مسلمون مؤمنون يؤدون ما أمر الله به ،فكيف يجور عليهم عمال الخليفة.ويقول أيضا: (الكامل)

إنـــي حلفـــت علـــى يمـــين بـــرة لا أكـــذب اليـــوم الخليفـــة قـــيلا
مـــا زرت آل أبـــي خبيـــب طائعـــا يومـــا أريـــد لبـــيعتي تبـــديلا(٣٦)

يبدو أن هذه القصيدة التي جاءت في مدح الخليفة ،المقصود منها هو طلب حاجة وليس مدح شخص الخليفة ،فلم تأت مديحا محضا بل كانت مزيجا من العتاب والشكوى وإظهار الخلاف لآل الزبير ،استدرارا لعطفه التي من ورائها رد المظلمة التي قدم بها إلى لخليفة.

وقد عاتب الراعي ،عبد الملك بن مروان وشكا ظلم السعاة على الصدقات لقومه وجورهم عليهم وإنهم لم يتركوا للفقير شيئا ،والفقير لا يجب عليه في المقدار الذي يملكه صدقة ولا سبيل للسعاة عليه. (البسيط)

إنـــي وإيـــاك والشـــكوى الـــتي قصـــرت حظـــوي ونأيـــك والوجـــد الـــذي أجـــد
كالمـــاء والظـــالع الصـــديان يطلبـــه هـــو الشـــفاء لـــه والـــرأي لـــو يـــرد
أزرى بأموالنـــا قـــوم أمـــرتهم بالعـــدل فينـــا فمـــا ابقـــوا ومـــا قصـــدوا

نعطـي الزكـاة فمـا يرضـى خطيـبهم حتى نضاعف أضعافا لها عدد (٣٧)

ومن بواعث العتاب في هذا العصر سعاة الخليفة وطالبي الخراج وجورهم في ذلك وهذا ما يوضح بشكل جلي سياسة بني أمية التي راح الشعراء يلتمسون في النظم طريقا لإيصال صوت المظلمة منها.

إلا أن الفرزدق يخالف جرير والراعي في عتابه الموجه لرجال الدولة فلم نلحظ عتابا غايته الشكوى ورد المظالم.

فقال معاتبا لخالد بن عبد الله القسري لما حفر النهر الذي سماه المبارك: (الطويل)

أهلكـت مـال الله في غـير حقـه على النهـر المشـؤم غـير المبـارك

وتضـرب أقوامـا صـحاحا ظهورهـا وتـترك حـق الله في ظهـر مالـك

أإنفـاق مـال الله في غـير كنهـه ومنعـا لحـق المـرملات الضـوانك(٣٨)

فقد كانت هذه الأبيات انتفاضة شعرية لما قام به خالد بن عبد الله القسري،وصوت رافض محتجا عليه بتبديد أموال المسلمين ،محملا أبياته معاني أسلامية للمحاججة بها ،وهو بهذا يشير بطرف إلى سوء السياسة وتدبير الأمور.

ومن عتابه السياسي ،ذلك العتاب الذي شاعت فيه لهجة التحدي والجرأة،فيقول لمعاوية : (الطويل)

أبـوك وعمـي يـا معـاوي أورثـا تراثـا فـأولى بـالتراث أقاربـه

فمـا بـال مـيراث الحتـات أكلتـه ومـيراث حـرب جامـد لـك ذائبـه

فلـو كـان هـذا الحكـم في جاهليـة عرفـت مـن المـولى القليـل حلايبـه

ولـو كـان هـذا ألأمـر في غـير ملككـم لا ديتـه أو غـص بالمـاء شـاربه

ولـو كـان إذ كنـا وللكـف بسـطة لصـم عضـب فيـك مـاض مضـاربه(٣٩)

أن هذا العتاب جاء مزيجا من الفخر والهجاء ويبدو أن اقترابه من لغة الفخر مرده إلى الموقف الذي قيلت فيه القصيدة،باعتباره موقفا قبليا خالصا.فقد فاخر بقومه الذين لا يقدر أحد على استلاب حقوقهم ،وهو وارثهم وحاميهم ،ولو كان معاوية فعل ذلك بعمه في الجاهلية لما قدر على رد قوم الفرزدق عن سلبه ونهبه في الحرب ،وهو من خلال معاني الفخر هذه نراه يهدد ويتوعد أحيانا ويعتب حينا آخر.

ومن عتابه الذي يعد سياسيا ،هو ما قاله لأقوام تميم ،معيرا أبا حاضر الاسدي ،وكانت الأسد شيعة لآل مروان ،وتميم وربيعة شيعة لآل الزبير وكان عبد العزيز بن بشير السعدي جد نميلة هو وأبو حاضر شيعة لمروان،فوبخوهما وأنبهما بفراقهما وشتم مالك بن مسمع بن شيبان ابن شهاب في قوله: (الطويل)

عجبت لأقوام تميم أبوهم ... مع الأسد مصفرا لحاها ومالك
وكانوا مراه الحي قبل مسيرهم ... ونحن فقأنا عينه بالنيازك
ونحن نفينا مالكا عن بلادنا ... إذا أفتر عن أنيابه غير ضاحك
فما ظنكم بابن الحواري مصعب ... على سابح ابزيمه بالسنابك(٤٠)
أبا حضر إن يحضر البأس تلقني ... وهم في بني سعد عراض المبارك

ولعل الشاعر في هذا العتاب ينظر إلى سياسة بني أمية وما تبتغيه من تفرقة القبائل وخلق العصبيات بينها ولذلك غضب على بني تميم ،ولهذا يستعرض الفضائل ليذكرهم بها.

من خلال ما تقدم نلحظ أن فن العتاب كان يخضع لشخصية الشاعر ،فنجد جرير أكثر لينا ،وهذا ما نجده عند الراعي أيضا فقد وظفا هذا الفن في استدرار العطف وقضاء الطلبة،أما الفرزدق فلم نلحظ له هذا الشيء فلم يشك ولم يستعطف ،بل جاء عتابه واضحا قويا جريئا .وهذا ما نجده في قوله

لخالد القسري حين قتل مالك بن المنذر عمر بن يزيد الاسدي فأتت بنو تميم لخالد فشهدوا أن مالكا قتله ،فلم يقبل شهادتهم،فقال: (الطويل)

أتتك رجال من تميم فشهدوا فضيعت حق الله في ظلم مالك
وأنفقت مال الله في غير حقه على نهرك المشؤم غير المبارك [٤١]

يتضح إن أهم أسباب العتاب هو السياسة المالية السيئة لبني أمية التي كانت مدار نظم الشعراءمثّل هذا الفن ثورة على الجور والاستبداد السياسي . ومن الجدير بالذكر إن الشعراء وظفوا هذا الفن خدمة لغرضهم، لما يتمتع من مميزات وقدرة على إحداث موائمة بين الحالة النفسية للشاعر وبين المعاتب وموضوع العتاب ،إذا ما نظرنا إلى مقام المعاتب الذي يتطلب من الشاعر حذر ودقة في التعبير ،وبين موضوع العتاب والذي يتعلق بسياسة الدولة،من هنا تتجلى قدرة الشاعر ومهارته العالية في أحداث توازن بين عواطفه وعواطف المعاتب لذلك تعددت طرق العتاب وتباينت أساليب الشعراء.

المطلب الثاني:العتاب الاجتماعي.

إن موضوع العتاب الاجتماعي يختلف عن موضوع العتاب السياسي أو عتاب الفرد نفسه ، أو العتاب الغزلي . فالعتاب الاجتماعي ،هو موضوع يشمل كل المحيط الاجتماعي للشاعر ،لهذا هو أوسع مواضيع فن العتاب،فضلا عن تحرره في أطلاق عواطفه والتعبير عن مكنون وجدانه دون ذلك الحرج الذي يلاقيه في العتاب السياسي.

فنجد جرير يعاتب أخويه عمرو حكيم،فيقول: (الوافر)

رأيتك يا حكيم علاك شيب ولكن ما لحكمك لا يثوب
وعمرو قد كرهت عتاب عمرو وقد كثر المعاتب والذنوب
وقد صدعت صخرة من رماكم وقد يحرمن بي الحجر الصليب
وقد قطع الحديد فلا تماروا فرند لا يفل ولا يذوب(٤٢)

أن هذه الوحدة العتابية هي عتاب أخواني،نلحظ فيه صدق التعبير وحقيقة العاطفة ،إذ ما يميز العتاب هو الصدق النفسي أو الشعوري ،فقد افتتح الشاعر عتابه بالغلظة والتقريع ممزوجا بحرارة الجفوة وعدم الإصغاء مشوبا بالإحباط والخيبة منهم،وهو بهذا ينافي غاية العتاب وهي الإبقاء على الوفاء وإدامة صلة الوداد.

وقال يعاتب أخاه أبا الورد،وقد شمت به حينما ذهبت بعض ابل جرير،فقال يعاتبه: (الطويل)

أبـا الـورد أبقـى الله فيهـا بقيـة كفـت كـل لـؤام خـذول وحاسـد(٤٣)

ويبدو أن سوء أخلاق المعاتب كان باعثا على عتابه لأخيه،فاتسم عتابه بالإحباط ورد الشماتة،ونلحظ فيه توهج لألم دفين يحاول أن يخفيه بقوله (أبقى الله فيها بقية).

وقد عاتب جرير ابنته ،حينما رفضت خاطبيها،فقال: (الرجز)

تضـج ربـداء مـن الخطـاب مـن قطـرين ومـن ضـباب
ومـن أبـي الـدعجاء كالصـؤاب ومـن مجيـب فـاتح العيـاب(٤٤)

في هذه الأبيات عتاب يفرض نفسه على تجربة الشاعر الشعورية،فكان عتابه لطيف لين لا نجد فيه صرامة أو غلظة وهو يستعرض لهؤلاء الأشخاص الذين تقدموا لخطبة أبنته،وكأنه لا يجد لها عذرا للرفض.

وقد عاتب جرير جده ،وذلك عندما استنحله من ماله وكان ذا مال كثير فقال أنحلك كما نحلت عميك عطاء ،وكان ينحل كل واحد من بنيه ربع ماله، وكان الربع في هذا العام قليل ،فسخطه جرير،وقال قد صرت شيخا من بنيك وأبا عيال وعاتبه: (الطويل)

فـردي جمـال الـبين ثـم تحملـي فمـا لـك فـيهم مـن مقـام ولا ليـا
تعرضـت فاسـتمررت مـن دون حـاجتي فحالـك إنـي مسـتمر لحاليـا

وانـــي لمغـــرور أعلـــل بـــالمنى ليـــالي أرجـــو أن مالـــك ماليـــا
فأنـت أبـي مـا لم تكـن لـي حاجـة فـــان عرضـــت أيقنـــت أن لا أبـــا ليـــا
بـــأي نجـــاد تحمـــل الســـيف بعـــدما قطعـــت القـــوى مـــن محمـــل كـــان باقيـــا
بـــأي ســـنان تطعـــن القـــوم بعـــدما نزعـــت ســـنانا مـــن قناتـــك ماضـــيا(٤٥)

لابد للشاعر هنا أن يسلك طريق العتاب لأنه لا يمكن أن يتنكر لجده،على الرغم من الجفوة والحيف التي ألمت بالشاعر .ويبدو أن الحادثة وأثرها البالغ عليه ، وطبيعة الشاعر جعلته يلجأ في عتابه إلى الشدة والصلابة.فشكلت هذه الأبيات ظاهرة عتابية قائمة بذاتها ،لأنها انعكاس لما يختلج في نفسه من الم ،وهو في عتابه لجده (الخطفي)لا يعني عنده انقطاع المودة والصلة فحسب ،وإنما يعني انقطاع الروابط الأبوية ،ولذلك ردفها بالفخر بنفسه من خلال تذكير جده بخلاله.

أما الراعي النميري،فقال معاتبا قوم من تميم:(الطويل)

تقـــول ابـــنتي لمـــا رأت بعـــد مائنـــا واطلابـــه هـــل بالســـبيلة مشـــرب
فقلـــت لهـــا ان القـــوافي قطعـــت بقيـــة خـــلات بهـــا نتقـــرب
رأيـــت بـــني حمـــان اســـقوا بنـــاتهم ومالـــك في حمـــان أم ولا أب (٤٦)

ساق الراعي هذا العتاب على وفق محاورة بينه وبين أبنته وهو بهذا يظهر ما الم به من خلال سؤال أبنته له مستخدما بذلك الاستفهام ليعبر به عن الدهشة ،منطلقا لمناجاة من يعاتبه.

وقال الراعي معاتبا: (الطويل)

ظعنـــت وودعـــت الخلـــيط اليمانيـــا ســـــهيلا وآذنـــــاه ان لا تلاقيـــــا
وكنـــا بعكـــاش كجـــري كفـــاءة كـــريمين حمـــا بعـــد قـــرب تنائيـــا (٤٧)

يعاتب الشاعر صاحبه من خلال التذكير بطيب الصحبة والوفاء لها فهو يعرض له مشهد مما شهدته علاقتهما من ود وحب.ومن الجدير بالملاحظة أن

نذكر عامل الزمن الذي نلحظه في اغلب فن العتاب لأنه انتقاله بين زمنين (ماضي وحاضر) وقع خلالهما حدث أبدل العلاقة.

وقال معاتبا جارية اشتراها: (الوافر)

تكلفـــــني معيشـــــة آل زيـــــد ومـــن لـــي بالصـــلائق والضـــاب(٤٨)

في عتابه هذا يكشف عن وضعه الاقتصادي وعدم قدرته على تكلف الإنفاق مثلما كان يفعل (زيد)الذي اشتراها منه.

ومن عتاب الفرزدق قوله في عتاب أبنه: (الطويل)

أإن أرعشـــت كفـــا أبيـــك وأصـــبحت يـــداك يـــد ليـــث فانـــك جاذبـــه

إذا غلـــب ابـــنٌ بالشـــباب أبـــاً لـــه كـــبيراً فـــان الله لابـــد غالبـــه

رأيـــت تباشـــير العقـــوق هـــي الـــتي مـــن ابـــن أمـــريء مـــا إن يـــزال يعاتبـــه

ولمـــا رآنـــي قـــد كـــبرت وأنـــني أخـو الحـي واستغنى عـن المسـح شـاربه

أصـــاح لغربـــان النعـــي وأنـــه لازور عـــن بعـــض المقالـــة جانبـــه(٤٩)

في هذا العتاب نحن إمام حالة إنسانية تتعلق بعقوق الأبناء،صورها الفرزدق بشكل مؤثر موظفا الفن البلاغي في استكمال المشهد الذي يعاتب ولده بشدة على عقوقه بلغة واضحة مستعينا بالكناية في قوله(اخو الحي)تعبيرا عن كبر سنه وملازمته ديار الحي ،وبالأسلوب نفسه يصف حالة ولده (عن المسح شاربه)في التعبير عن مرحلة النضج والشباب ،يتضح من ذلك صدق تجربة الشاعر وهو يقابل بينه وبين ولده فقد بلغ به العمر أرذله فكان ضعفه يقابل قوة ولده وعنفوانه ومن جهة أخرى يقابل بين زمنين تبدلت به الأحوال.

وبهذا نخلص إلى أن فن العتاب له بعد أخلاقي وتربوي غايته الحفاظ على أواصر القربى في العلاقات وأدامت المودة بين الناس ،وهي غاية ذات بعد نبيل يتعلق بالالتزام بالقيم الإنسانية التي تحفظ للمجتمع فضائله.

المبحث الثالث

دراسة فنية في بناء قصيدة العتاب

يعد البناء الفني للقصيدة العربية من القضايا النقدية المهمة التي تنظر إلى النص الشعري بوصفه بناءً تاماً له حدوده ومعالمه التي تميزه من بقية الأبنية (٥٠)،فهو ((بناء علائقي يقوم على العلاقات بين العناصر كل منها حاكم للآخر ومحكوم به)).(٥١)

والمقصود من ذلك (أجزاءها الرئيسة التي تنظمها كفن قولي ،وهو ما يعبرون عنه بالابتداء والتخلص والخواتيم).(٥٢)

احتفظت الذاكرة العربية منذ عصر ما قبل الإسلام بالبناء الشعري الذي ترتبت عليه اغلب الاقيسة والقواعد في نظم القصيدة العربية ،وهي قصائد قائمة على ركائز ثابتة استنبط منها النقاد كل المعايير النقدية والقوانين التي سنوها في إتباع الأنموذج الأمثل في بناء القصيدة العربية ،وقامت عليها التفسيرات فقد تمسك النقاد بهذا النوع من القصائد وخاصة قصائد المديح ،مرد ذلك للذائقة العربية في العصر الأموي التي كانت تستجيد هذا النمط الموروث من الأداء .إن هذه الركائز تنصب في قوالب موضوعية ،تبدأ بمقدمة طللية في ذكر الديار ومن ثم النسيب والرحلة وصولا إلى الغرض الرئيس.(٥٣)

إن المقدمة تشكل البؤرة التي ينطلق منها موضوع الشاعر ويأخذ بالنمو والاتساع فتتراءى من خلالها تجربة الشاعر الانفعالية التي تحمل الإشارات واللمحات الدالة لغرضه الرئيس.

وهذه ما نجده عند الراعي النميري في قصيدته التي مدح بها عبد الملك بن مروان وكانت غاية الشاعر العتاب والشكوى من السعاة ،فجاءت المقدمة الغزلية تحمل نبرة العتاب للحبيبة ،فيقول: (البسيط)

بـــان الأحبـــة بالعهـــد الـــذي عهـــدوا فـــلا تمالـــك عـــن ارض لهـــا قصـــدوا
وراد طرفـــك في صـــحراء ضـــاحية فيهـــا لعينـــك والاضـــعان مطـــرآد(٥٤)

نهج الراعي نهجا تقليديا في بناء القصيدة ،فبدأها بمقدمة غزلية أخضعها لدوافع نفسية ،في صد المحبوبة وهجرها وما يترك الصدود والهجر من شوق وحسرة وألم ،والذي يلفت النظر إن لفظ (العهد)يلمح إلى الغاية التي قصدها وهو الخليفة وهو ولي أمر المسلمين المتكفل برعايتهم ورد مظالمهم.

وعلى هذه الشاكلة ابتدأ جرير قصيدته العتابية بمقدمة غزلية طويلة وغايته أن يصل بها إلى عتاب جده، فيقول في مطلعها: (الطويل)

ألاحـــي رهـــبي ثـــم حـــي المطاليـــا فقـــد كـــان مأنوســـا فأصـــبح خاليـــا
فـــلا عهـــد إلا أن تـــذكر أو تـــرى تمامـــا حـــوالي منصـــب الخـــيم باليـــا(٥٥)

وكذلك فقد نجد لفظ (العهد) عند هذا الشاعر أيضا،ويبدو أن هذا التكرار لدى الشاعرين هو أن هذه اللفظة هي مفتتح العتاب لديهم وذلك لأنها تقف نقطة تحول في العلاقة بين الشاعر والآخر.

وقد نلحظ(قصائد مباشرة) تخلو من المقدمات التقليدية ولم يسير الشعراء على المجرى العام (الموروث).وهي أن يباشر الشاعر غرضه ويهجم عليه دون أن يجعل لكلامه بسطا من النسيب .ابتداءً من البيت الأول منها دون مراعاة التسلسل التقليدي في بناء القصيدة العربية ودون المرور بمقدمة،وهي عند ابن رشيق كالخطبة البتراء.

ولقد تركزت قصائد العتاب المباشرة عند الفرزدق ،ويبدو أن الفرزدق لم تكن القصائد الطويلة وذات المقدمات تناسب عتابه وتستوعب عواطفه وانفعالاته ،فهي عواطف سريعة وآنية لديه .فيقول: (الطويل)

ولا ئمـــتي يومـــا علـــى مـــا أتـــت بـــه صـــروف الليـــالي والخطـــوب القـــوارع
فقلـــت لهـــا فيئـــي إليـــك وأقصـــري فلـــوم الفتـــى ســـيف بوصـــليه قـــاطع

تلـوم علـى أن صـبح الـذئب ضـأنها فـألوى بحـبشٍ وهـو في الرعـي راتـع
وقـد مـرّ حـول بعـد حـول وأشـهرٌ عليه ببؤس وهو ظمأن جائع(٥٦)

وهي قصيدة قالها عندما كان يرعى على أمه غلاما ،فأغار الذئب عليه فأخذ كبشا فلما راح إليها لامته وهو من أول شعر قاله ،وهو بهذه الأبيات يدفع اللوم عنه ويستعرض الحادثة التي وقعة له فيقول :

فلمـا رأى الإقـدام حزمـا وأنـه أخـو المـوت مـن سـدت عليـه المطـالع
أغـار علـى خـوف وصـادف عـزةً فلاقـى الـتي كانـت عليهـا المطـالع
ومـا كنـت مضـياعا ولكـن همـتي سـوى الرعـي مضـطرا وإذ أنـا يـافع
أبيـتُ ألـوم الـنفس كـل عظيمـة إذا وطئـت بـالمكثرين المضـاجع(٥٧)

إن أسلوب السرد القصصي عوّض الشاعر عن البناء الفني لقصيدته،فقد حقق له انسجاما تاما بين أبيات القصيدة وهو يعبر عن مشاعره بصدق تام ،فضلا عن أن الحادثة كانت تجربة حقيقية أراد أن يجسدها في شعره. ولهذا تُحتم عليه هذه التجربة إن يختزل المقدمة ويدخل مباشرةً إلى موضوع القصيدة ،وان دلوف الشاعر على موضوعه مباشرةً هو بسبب الانفعال النفسي المتصاعد الذي يكون له الأثر الأكبر في عزوف الشاعر عن التقديم ،والولوج مباشرة إلى غرضه لان شدة الانفعال لا تسمح بالتأمل والتروي.

(المقطوعات الشعرية):

استحوذت هذه المقطوعات على أغلب فن العتاب ،وقد يعود السبب في كثرتها إلى طبيعة الغرض والباعث،فهذا الفن هو مزيج بين عواطف متشابكة تفرضها طبيعة التجربة الشعرية التي تحتم على الشاعر النظم في هذا اللون دون غيره. حيث كونت هذه المقطوعات لمحات شعرية خاطفة لا يمتلك الشاعر

الوقت الكافي لتطويلها فيحملها من المعاني والصور ما يجعلها تنهض بقدرتها التوصيلية .

أما من زاوية البناء الخارجي ،فهي تشكل وحدةً شعرية قصيرةً تتحد فيها المعاني والصور لتنبسط على مساحة شعرية صغيرة مكونة وحدة بنائية مستقلة.

وعلى الرغم من إيجاز هذه المقطوعات وقصرها إلا أنها ذات بناء محكم يجسد إحساس الشاعر العنيف نتيجة لتجربة شعورية آنية يحولها الشاعر إلى تجربة فنية مستقلة تامة الدلالة يتمثل فيها الشعور الصادق والوحدة الموضوعية ،كما في قول جرير لصاحب ديوان العطاء باليمامة: (الطويل)

لقد كان ظني يا ابن سعدٍ سعادة ... وما الظن إلا مخطئ ومصيبُ

تركت عيالي لا فواكه عندهم ... وعند ابن سعدٍ سكرٌ وزبيبُ

منعت عطائي يا ابن سعدٍ وإنما ... سبقت إلى الموت وهو قريبُ

فان ترجعوا رزقي إليّ فانه ... متاع ليالٍ والحياة كذوبُ (٥٨)

فالانفعال المحموم للشاعر اتجاه خصمه لا يسمح له بالتأني والإطالة في بناء المقطوعة لذا أوجز الشاعر دون أن يخل في تأصيل الفكرة التي طرقها أو المضمون الذي حملته المقطوعة وبهذا فقد أعطت المقطوعة قيمة تعبيرية ومعنوية من صدق انفعال الشاعر لتجربته الآنية ،فكانت الأقدر على حفظ إمضائها وشيوع صيتها بين الناس.

ووفق المضمون نفسه ما نلحظه في مقطوعة الفرزدق: (الطويل)

أبوك وعمي يا معاوي أورثا ... تراثا فأولى بالتراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته ... وميراث حربٍ جامدُ لك ذائبه(٥٩)

إن الموقف السريع الذي دفعه إلى قول الشعر هو الذي حتمّ عليه الاستجابة إلى جعل مقطوعته الشعرية تقترب من أسلوب الرسائل الشعرية.

نتائج البحث:

يمكن أجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحث في الآتي:

- تظهر الدراسة أن فن العتاب يقوم على عناصر أساس في قصيدته وهي،الشاعر (المعاتب وحالته النفسية)، و المعتوب(باعث العتاب) ،والزمن (الماضي والحاضر وما تخللهما من تحول)،والحجج التي يقدمها المعاتب للمعتوب.
- مما تقدم يتبين أن لفن العتاب أبعادا نفسية وأخلاقية وتربوية،فكان البعد النفسي متمثل بصدق وجدان الشاعر وهو يعبر عن ألمه ومكنون شعوره.أما البعد الأخلاقي والتربوي فهي (الغاية والحكمة) في هذا الفن ،فمثل ظاهرة اجتماعية تصور روابط أفراد المجتمع ووشائج القربى بينهم إزاء ما يلحقها من ظلم وأذى محاولة إعادة أواصر الود والمحبة.
- أظهر البحث الأنواع والأغراض التي تدخل في نسيج قصيدة العتاب ،فكان هناك عتاب موجه إلى رجال الدولة (عتاب سياسي)،وعتاب اجتماعي(عتاب أخواني وقبلي وعائلي) .وظف جرير والراعي العتاب السياسي لغاية نفعية،على خلاف الفرزدق الذي كان عتابه نقدا للسياسة الحاكمة أما العتاب الاجتماعي لهؤلاء الشعراء فمثل الصدق بعينه.
- أوضح البحث أن البناء الفني في قصائد العتاب، على ثلاثة أنماط،الأول تقليد للشعراء القدامى والسير على منهجهم الموروث وهو الذي يشمل القصائد الطوال ،أما الآخر هو القصيدة المباشرة وهذا ما وجدناه عند

الفرزدق، والأخير هو المقطوعات الشعرية التي استوعبت هذا الفن أكثر من النمطين السابقين.

ملخص البحث:

-هذا البحث بعنوان فن العتاب في الشعر الأموي(جرير –الفرزدق-الراعي النميري)أنموذجا. الدراسة تقوم على البحث في فن العتاب عند الشعراء الثلاثة، وهذا الفن لا يقل أهمية عن الأغراض الرئيسة في الشعر العربي كالمديح ،والهجاء،والغزل ،بل هو من الأغراض والفنون التي لابد من الوقوف عندها والنظر إليها لما يحمل في طياته من قيم وأفكار تؤرخ لأحداث ومواقف تباينت الرؤى فيها وتقاطعت ردود الفعل.

تظهر الدراسة إن فن العتاب يقوم على عناصر أساس في قصيدته وهي،الشاعر (المعاتب وحالته النفسية) و المعتوب(باعث العتاب) والزمن (الماضي والحاضر وما تخللهما من تحول)والحجج التي يقدمها المعاتب للمعتوب.

-تظهر الدراسة أن لفن العتاب أبعاد نفسية وأخلاقية وتربوية،فكان البعد النفسي متمثل بصدق وجدان الشاعر وهو يعبر عن ألمه ومكنون شعوره.أما البعد الأخلاقي والتربوي فهي (الغاية والحكمة) في هذا الفن ،مثل ظاهرة اجتماعية تصور روابط أفراد المجتمع ووشائج القربى بينهم إزاء ما يلحقها من ظلم وأذى محاولة إعادة أواصر الود والمحبة.

- أظهر البحث الأنواع والأغراض التي تدخل في نسيج قصيدة العتاب ،فكان عتاب موجه إلى رجال الدولة (عتاب سياسي)،وعتاب اجتماعي(عتاب أخواني وقبلي وعائلي) .وظف جرير والراعي العتاب السياسي لغاية

نفعية،على خلاف الفرزدق كان عتابه نقد للسياسة الحاكمة أما العتاب الاجتماعي لهؤلاء الشعراء فمثل الصدق بعينه.

- أوضح البحث أن البناء الفني في قصائد العتاب، على ثلاثة أنماط،الأول تقليد للشعراء القدامى والسير على منهجهم الموروث وهو الذي يشمل القصائد الطوال ،أما الآخر هو القصيدة المباشرة وهذا ما وجدناه عند الفرزدق، والأخير هو المقطوعات الشعرية التي استوعبت هذا الفن أكثر من النمطين السابقين.

Abstract

This research is entitled " Blame in the Umayyad Poetry (Jareer, Al-Farazdaq, Al-Raei Al-Numairi) as an example. This study is based on the blame by the three poets. This type of poetry is not less important than the other main purposes of the Arab poetry like praise, satire and courtship, but rather it is one of the purposes and arts that we need to concentrate on for what it carries of values and ideas that register events and attitudes that the opinions were different over them and reaction towards them intercrossed.

The study revealed that admonition is based on basic elements in its poem which is the poet (the blamer and his psychological state), the blamed (the reason for blame) and the justification which the blamer inform the blamed with.

The study also revealed that admonition has psychological, moral and educational dimensions. The psychological dimension is represented by the true emotions of the poet as he express his pain and feelings. As for the moral and educational dimension it represents the purpose and wisdom behind this type of poetry. It represented a social phenomenon that depicts the ties of the society individuals and kinship among them regarding the unjust they witness in an attempt to regain the emotional relation among them.

The research revealed the types and purposes of that is used in the blame poem components. It was an admonition directed to the men of the state (political admonition) and social admonition 9among brothers and family members). Jareer and Al-Raee employed political admonition for a beneficial purpose unlike Al-Farazdaq who directed his blame to politics while the social blame was directed to those poets.

The research explained that the artistic structure in the poems of admonition is of three patterns, the first is an imitation of the ancient poets and walking on their inherited methods which includes long poems. While the other is the direct poem which we found in the poems of Al-Farazdaq and the final one is the poetic poems that included this type more than the other two patterns.

هامش البحث

١- لسان العرب،ابن منظور:مادة (العتب)١/٥٧٧.

- تهذيب اللغة،الأزهري:٢/٢٧٨.

- مقاييس اللغة:٤/٢٢٥ مادة عتب، ينظر:جمهرة اللغة:ابن دريد:١/١٩٦، تاج العروس:٣/٣١٠،الصحاح للجوهري،مادة عتب:١/٧١٧.

٢-ينظر:الشعر والشعراء:٩٣،الأغاني:١١/٣١-٣٧

٣- ينظر:الحماسة ،شرح التبريزي، و المستطرف:٢/١٩٣.

٤- ينظر :نقد الشعر :قدامة ابن جعفر:١٢،ونقد النثر:قدامة بن جعفر:١٠

٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:١/١٢٠

٦- ينظر :يتيمة الدهر ،الثعالبي النيسابوري:٤/٣٦٣.

٧- ينظر :العقد الفريد،ابن عبد ربه:٤/٢٢٨.

٨- ينظر :البديع،ابن المعتز:٧٤.

٩- ينظر:ديوان النابغة الذبياني:٤٤.وينظر:أساس البلاغة:٤٠٧-٤٠٨

١٠- معترك الأقران في إعجاز القرآن :السيوطي:٤٢

١١- ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء:٣٢٥.

١٢-ينظر: جوهر الكنز:ابن الأثير الحلبي، و بهجة المجالس،ابن عبد البر:١/٧٢٦

١٣-ينظر :شرح الصولي لديوان أبي تمام:١٦٥/١.ورتب الصولي ديوان ابن المعتز على عشرة أغراض وجعل العتاب غرضا مستقلا .ينظر :شرح الصولي لشعر ابن المعتز،١٥٥.
١٤-ينظر:ديوان المعاني/الباب الثالث /الفصل الأول في المعاتبات:/١٥٧.
١٥- المعجم الفلسفي:٥٤/٢.
١٦- سورة الفرقان:الآية٢٧.
١٧- سورة الزمر:الآية٥٦.
١٨- بحار الأنوار:ج٦٧/ ص٣٦٤.
١٩- مجمع الزوائد:ج٥/ ص٢٦٢.
٢٠- العقد الفريد:٣٠٩/٢.
٢١- عيون الأخبار:١٦٨/٣.
٢٢- أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي:١٦٠
٢٣- ديوان النابغة الذبياني:ت:محمد أبو الفضل إبراهيم/١٥٣
٢٤- الاصمعيات/٢٤٥.
٢٥- شرح ديوان كعب بن زهير- السكري/طبعة دار الكتاب :٣-٤
٢٦- ظ:العمدة:١١٣/٢.
٢٧- أظ:يام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي:١٦١.
٢٨- ظ:فن العتاب في شعر البحتري:٢٥.
٢٩- جرير:١٦.
٣٠- شرح ديوان جرير:٦٠٥.
٣١-وكانت هذه الأبيات من أوائل شعره وقد قالها لجده معاتبا ينظر:جرير:١٦.
٣٢- شرح ديوان جرير :٥٨٨.
٣٣- المصدر نفسه:١٥٦.
٣٤- المصدر نفسه:٤١.
٣٥- شعر الراعي النميري: ١٣٤.
٣٦- المصدر نفسه:١٣٥.
٣٧- المصدر نفسه :٥٤.
٣٨-شرح ديوان الفرزدق:٦١.
٣٩- المصدر نفسه:٥٦.

٤٠- المصدر نفسه :٦٠٠.
٤١- المصدر نفسه:٦٠٠
٤٢-شرح ديوان جرير:٣٧،ينظر :جرير حياته وشعره:١٢١-١٢٢
٤٣- المصدر نفسه :٤٣١
٤٤- المصدر نفسه :٥٥
٤٥- شرح ديوان جرير:٦٠٥
٤٦- شعر الراعي النميري:١٨٣
٤٧- المصدر نفسه:٢٥٢
٤٨- المصدر نفسه:٤٥
٤٩- شرح ديوان الفرزدق:٩٧
٥٠-ظ: بناء القصيدة العربية:٢٢
٥١- الصورة والبناء الشعري:١٩٧
٥٢- اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري:٢٦٦
٥٣- ظ:المطلع التقليدي في القصيدة العربية:١٢
٥٤- شعر الراعي النميري:٨٢
٥٥- شرح ديوان جرير:٦٠١
٥٦- شرح ديوان الفرزدق:٥١٢
٥٧- المصدر نفسه:٥١٢
٥٨- شرح ديوان جرير:٤١
٥٩- شرح ديوان الفرزدق:٥٦

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
-أساس البلاغة :أبو القاسم جار الله الزمخشري ت (٥٣٨ه) تح:عبد الرحيم محمود- دار المعرفة،١٩٨٢م.
-الاصمعيات:أبو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي ت(٢١٦)،تح:احمد محمود شاكر وعبد السلام هارون،دار المعارف،القاهرة-ط١، ١٩٨٦م.
- الأغاني:لأبي الفرج الأصفهاني ت(٣٥٦)ه ،دار الكتاب المصرية-القاهرة ط١-١٩٣٧م.

- تاج العروس في جواهر القاموس:السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت(١٢٠٥)ه - المطبعة الخيرية-مصر،ط١ – ١٣٠٦.
- تاج اللغة وصحاح العربية:أبو نصر الجوهري- مطبعة عارف،بيروت-١٢٨٢ه.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ت(٣٧٠)ه،تح:احمد عبد العليم البردوني- دار صادق – طهران،٢٠٠٤م.
- البديع: عبد الله ابن المعتز(٢٩٦ه)، تح:محمد عبد المنعم الخفاجي- مصر،١٩٤٥م.
- بحار الأنوار:العلامة محمد باقر المجلسي ت(١١١١)ه ،مؤسسة الوفاء،بيروت-لبنان-ط٢-١٩٨٣.
- جرير:د.جميل سلطان –دار الأنوار-بيروت.
-جمهرة اللغة:ابن دريد ،بيروت- ١٩٢٥م.
-جوهر الكنز: نجم الدين أحمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي ت(٧٣٧)ه ، ت: د.محمد زغلول سلام- الإسكندرية،(لا.ت)
- الحماسة:شرح التبريزي- القاهرة- ١٣٥٧ه.
- ديوان النابغة الذبياني- بيروت- ١٩٨٢م.
- ديوان المعاني :لأبي هلال العسكري – بغداد- ١٩٣٢م.
- الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ت(٢٧٦)ه ،ت:د.مفيد قميحة،والأستاذ محمد أمين الضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت،ط٢- ٢٠٠٥.
- العقد الفريد: أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي ت(٣٢٨)ه ،ت:احمد أمين-القاهرة ط٢-١٩٦٥م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني ت(٤٥٦)ه ،ت:٤٥٦ه –ت:د.محمد زغلول سلام-المكتبة التجارية –القاهرة-١٩٥٦م.
- عيون الأخبار:أبن قتيبة،دار الكتب المصرية-القاهرة ١٩٢٥م.
- لسان العرب:جمال الدين محمد ابن منظور ت(٧١١)ه ،دار صادق- بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م،
- نقد الشعر: أبو الفرج قدامة ابن جعفر ت(٣٣٧)ه ،ت:كمال مصطفى –مطابع الرجوي- القاهرة،ط٣، ١٩٧٨م.
- نقد النثر:أبو الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادي(٣٣٧ه)،ت:طه حسين،وعبد الحميد العبادي- مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة- ١٩٣٣م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت(٧٠٨)ه ،دار الكتب العلمية-بيروت،١٩٨٨.
- المستطرف في كل فن مستطرف: محمد بن احمد الابشيهي(٨٥٢ه)- بولاق- ١٨٦٧م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي ت(٩١١)ه ،ت:علي محمد البجاوي- القاهرة -١٩٧٣م.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا ت(٣٩٥)ه ،ت:عبد السلام هارون- ،القاهرة-ط١، ٢٠٠٢م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء:أبو الحسن حازم القرطاجني ت(٦٨٤)ه ،ت:محمد حبيب بن الخوجة – دار الكتب الشرقية،تونس-١٩٦٦م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر:أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري ت(٤٢٩ه)، ت:محمد محي الدين عبد الحميد- مطبعة السعادة،١٩٥٦م.

المراجع:

- اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري:د.منصور عبد الرحمن ،القاهرة - ١٩٧٧.
- أيام العرب وأثرها في الجاهلية:منذر الجبوري- منشورات وزارة الإعلام ،العراق-١٩٧٤م.
- بناء القصيدة العربية في النقد العربي في ضوء النقد الحديث :د.يوسف حسين بكار-ط٢- دار الأندلس – بيروت-١٩٨٢م.
- جرير حياته وشعره:د.نعمان محمد أمين طه- دار المعارف بمصر.
- شرح ديوان جرير:محمد إسماعيل عبد الله الصاوي- دار الأندلس –بيروت.
- شعر الراعي النميري:دراسة وتحقيق:د.نوري حمودي القيسي وهلال ناجي- مطبعة المجمع العلمي العراقي-١٩٨٠م.
- الصورة والبناء الشعري:د.محمد حسن عبد الله- دار المعارف-مصر-١٩٨١م.
- شرح ديوان الفرزدق:عبد الله إسماعيل الصاوي-مطبعة الصاوي-ط١-مصر-١٩٣٦م.
- فن العتاب في شعر البحتري :رسالة ماجستير-تقدم بها :علي عباس الربيعي-على الآلة الكاتبة-جامعة الكوفة-كلية الآداب-١٩٩٩م.
- المطلع التقليدي في القصيدة العربية:عدنان عبد النبي البلدوي- مطبعة الشعب- بغداد- ١٩٧٤م.دار الكتب العلمية